امالي انام

او مكارم الاخلاق في اقاصي المشرق

وقانا الله من الهوى فلطالما حاد بصاحبه عن محجة الصواب واراهُ الحق بطلاً والنور ظلمةً. وبعدُ فقد اشتهر في هذا العصر علمٌ واسع النطاق ممدود الرواق تهواهُ العقول لما تجد فيهِ من الفكاهة وترتاح اليهِ النفوس لما تلقاهُ فيهِ من النزاهة. ولكنَّ مصادرهُ لسوء الطالع غير صافية الموارد. وموادهُ لا تخلو من شائبة الاهواء وخسَّة المقاصد. لان الذين يطوفون البلدان القاصية ويصفون احوال سكانها واخلاقهم ليسوا في الغالب من طائفة العلماء المحققين بل من الذين غرضهم الاول ترويج بضاعتهم فلا يرون من اخلاق الناس الاَّ ما وافق غرضهم ولا يرون عنهم الاَّ ما يحط من شأنهم ويستطرفهم ندى اهل البر والاحسان

وقفنا منذ مدة على كتاب لاحدهم اذا قرأهُ من لم يرَ بلاد الشام ولا عرف اخلاق اهلها ظن انها خالية من آثار الحضارة وان سكانها برابرة ياكل بعضهم بعضاً. وقد يكون لذلك نفع من حيث استدرار مال المحسنين ولكن الباحث في علم الاخلاق يضلُّ بهِ عن قصد السبيل. ومثل ذلك ما قام في النفوس من ان اهالي سيام وانام وغيرهم من اهالي المشرق الاقصى برابرة همج والحق ان الجانب الاكبر منهم من خيرة الانام في اخلاقهم وآدابهم وهم في الجملة ارقى آداباً من الذين يعيبونهم

الاَّ ان علم الاخلاق لم يعدم نصراء من العلماء المدققين الذين لا تأخذهم في تقرير الحقائق لومة لائم. وقد عثرنا على تقرير في وصف اخلاق اهالي انام وتنكوين فاقتطفنا بعضهُ وبنينا عليهِ الكلام الآتي

اذا شعرت المرأة في انام بانها حامل انقطعت عن المآكل الدسمة الهضم واعتنت بحركاتها وسكناتها حتى تكون كلها في غاية الرزانة والوقار ويصح فيها قول من قال

حصانٌ رزانٌ لا تُزَنُّ بريبةٍ وتصبحُ غرثى مع لحوم الغدافلِ (١)

ويطلب منها اذ ذاك ان تصغي الى قراءة الكتب النفيسة وتسمع الاغاني الادبية الشجيَّة وتعاشر العلماء والنبهاء لكي لا يشتغل عقلها الاَّ بكل موضوع جليل نبيل وعندهم ان ذلك يجعل مواودها من الاذكياء ويؤهلهُ للقيام بواجباتهِ نحو قومهِ وابناء بلادهِ. فكأنهم يشرعون في تهذيب اولادهم قبل ولادتهم. ونعم ما يفعلون لان الانفعالات النفسية تؤثر في الاجنة اشد التأثير

(١) اي عفيفة وقور لا تتهم بريبة ولا تستكثر من الطعام

ثم اذا ولدت المرأة نصبوا على باب بيتها قصبة ووضعوا في رأسها عودًا مشتعلاً فان كان المولود ذكرًا داروا برأس العود نحو البيت وان كان انثى داروهُ الى الجهة الاخرى يعنون بذلك ان الابن يخلف اباهُ في تدبير بيتهِ والابنة تترك بيت ابيها وتمضي الى بيت آخر . وبعد ولادة الطفل بشهر يولم اهلهُ وليمة يدعون اليها اقاربهم واصدقاءهم وهي بمثابة الخرس عند العرب . ويصدّرون في هذه الوليمة رجلاً جليلاً اذا كان الطفل ذكرًا او امرأةً فاضلة اذا كان انثى . فيأخذ الشخص المتصدّر الطفلَ بعد الوليمة ويردد مسطرةً امام فمهِ ثم يغطُّ طاقة من الازهار في الماء ويضح بها رأس الطفل وبدنهُ وهم يريدون بذلك ان الطفل يتخذ العقل مرشدًا لهُ حينما يكبر ويتجنب الادناس والاوضار

وحينما ينظم الطفل ويخرج من المهد يأتي بهِ والداهُ الى مذبح اسلافهم ويقدمانهِ لهم . وكانت العادة ايضًا ان يتيماهُ حينئذٍ بين ادوات كثيرة من ادوات المعايش المختلفة حتى يختار واحدةً منها وهو في حال السذاجة التامة ومهما اختار منها رُبي على اتباعهِ الاّ ان هذه العادة قد أُبطلت الآن

وحينما يبلغ الولد سن التمييز فان كان ابنة سلمت لامرأةٍ تعلمها وتهذبها . وهم يعتنون بتعليم بناتهم اشد الاعتناء ويعدّونهُ من الضروريات . وعندهم ان اكبر مفخرة يفتخر بها الانسان وجود امرأة حكيمة وقور في بيتهِ تربي اولادها على الفضيلة وتهتم بتدبير بيتها . وتهذيب البنات يقوم بتعليمهنَّ علم السلوك والقراءة والكتابة والحساب والموسيقى وفنون الادب والنسج والتطريز والطبخ وما اشبه مما يلزم لتدبير البيت وراحة اهلهِ . واما الصبيان فيرسلون الى المدارس العمومية يقيمون فيها النهار ويرجعون في المساء الى بيوتهم . والوالدون لا يعلّمون اولادهم بانفسهم لانهم يحسبون ان شفقتهم عليهم تقودهم الى الخطاء في تعليمهم وتهذيبهم فيكلون ذلك الى المعلمين

ثم اذا بلغت الفتاة السنة الخامسة من عمرها وهو سن بلوغ الفتيات عندهم زيّن ابواها مذبح عائلتهما ودعوا اقاربهما الادنين وتقدما بابنتهما الى المذبح وقالا علينا ان نخبر اسلافنا ان ابنتنا قد صارت في سن الزواج من الآن وقد خولها سنها ان تضع الدبوس في شعرها . ثم يسجدون اربع سجدات ويسجد معهم الاقارب ويكونون قد رأسوا عليهم امرأة متقدمة في السن ومشهورة بعقلها وعفافها فتأخذ الدبوس من على المذبح وتعقص بهِ شعرَ الفتاة وتسجد اربعًا وتعود بالفتاة الى بيت ابيها ويولم لها ابواها وليمة فاخرة ومن ثمَّ تصير اهلاً للزواج

ويحتفلون مثل هذا الاحتفال بالفتى حينما يبلغ السنة العشرين من عمرهِ ويرأس على احتفالهم رجل من كرام قومهم ويلبسون الفتى الكمّة على رأسهِ . ويحتفلون بهِ احتفالاً آخر حينما يجاز الامتحان الذي يؤذن لهُ بتعاطي اشغال الحكومة

ورسوم الزواج عندهم كثيرة ومختلفة باختلاف طبقاتهم ولكن يُنظَر فيها دائمًا الى ان نفقات العرس يجب ان تكون كلها من العريس لان العروس تترك اسم عائلتها وتنتمي الى عائلة زوجها ولذلك كان الزوج مطالبًا بكل نفقاتها ونفقات اولادها . وعندهم ان الزواج عقد ادبي محض منزّه عن المال والربح ويعتنون الاعتناء التام بتعليم بناتهم وتهذيبهنّ لعلمهم ان الزوجة المتهذبة تعين زوجها وتهتم ببيتها اكثر من الغنيّة . والآباء غير بخلاء على بناتهم فيعطونهنّ كثيرًا ولكنهم احرارٌ في ذلك والزوج لا يطالبهم بشيء ولا ينتظر منهم شيئًا وكثيرًا ما يطلبون ان يقدم لزوجته صداقًا طائلاً

والمرأة في انام مساوية للرجل في كل شيء حتى اذا خدم رجل بلادهُ وجازتهُ الحكومة بنيشان اولقب شرف جازت زوجتهُ بمثل ذلك ايضًا لانها تحسب ان الرجل لم يتمكن من خدمة بلاده اولا مساعدةُ زوجته له براحة بالهِ من جهة بيته . واذا مات رجلٌ وقامت زوجتهُ على اولاده ولم تتزوج بغيرهِ كافأتها الحكومة على ذلك وارسل لها سلطان انام شهادة لتعلقها في بيتها وكتب فيها فضائلها

وواجبات الزوجة عندهم الاعتناء بزوجها واولادها واستقبال الزوار والترحب بهم واعداد الولائم لاعياد الاسلاف ولها التقدم في ذلك على بنات جنسها . وتدبير البيت خاص بها وحدها فهي الآمرة الناهية فيهِ وبيدها حساب النفقات وتدبير الخدم . ونساء انام خاضعات لازواجهنّ وبعيدات عن الفنج والدلال والاسراف ولا يحرفنَ الزي (المودة) ولا يلبسنَ من الحلى الاّ ما اهداهنّ ازواجهنّ حين زواجهنّ واذا اشترينَ حلًى جديدة ابقينها لابنائهنّ ليهدوها لزوجاتهم

وليس في بلاد انام مدافن عامّة فكل انسان يدفن موتاهُ في ارضهِ ويضعون موتاهم في توابيت متينة وقد يبقونها في بيوتهم اياماً كثيرة . وثياب الحداد عندهم بيضاء لاسوداء ومدّة الحداد على الاب والام ثلاث سنوات وعلى الجد والجدّة والاخ والاخت سنة واحدة واقل من ذلك على غيرهم . والغالب ان يترك الرجل اعماله حينما يناهز الخمسين او الستين ويسلم ادارتها لاولادهِ وينقطع الى الاهتمام بمدافن اسلافهِ . ولا يضعون على المدفن صورةً ولا تمثالاً بل يكتبون عليهِ اسم الميت بحروف كبيرة ويحفظون صورته في قلوبهم . وروّساء العيال هم كهنتها والغاية من كل رسومهم الدينية تمكين المحبة الوالدية في قلوب الاولاد . قال احد الانامبين للمسيو دستري الفرنسوي "انا نحب ان نفي ما نحن مديونون بهِ لوالدينا — لامنا التي حملتنا في بطنها وربتنا بالتعب والالم وغذتنا بلبنها ولابينا الذي تعب على تربيتنا وكان اول مرشد لنا في تيهِ هذه الحياة .

والجزاء على قدر التعب . اي شيء مثل هذه النعمة التي عرفنا بها ان نلتذ بالحياة ونترفّع بفضائل والدينا من اوطإ الدرجات الى اسماها . وانا نسعى جهدنا ليكون لنا اسم ومقام بين الناس فنكون فخرًا لوالدينا وشرفًا لبيتنا الذي نرجو ان تخدم به ابناء نوعنا يومًا ما فتحصل الراحة والسعادة لنفوس اسلافنا الذين يراقبوننا من العالم السموي"

هذه اخلاق اهالي انام وهذه آدابهم فعسى ان لا يستبدلوها بآداب الاوربيين الذين انتشروا بينهم الآن

مقدار الهباء في الهواء

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة في الكلام على "هباء الهواء وعوادي الادواء" ان الهواء الذي نتنفسه قلّما يخلو من الهباء المتطاير وان بعض هذا الهباء اجسام حيّة دقيقة جدًّا وان الاختمار والفساد اللذين يحلاّن بالمواد المكشوفة للهواء حادثان من وقوع هذه الاجسام الحيّة عليها ونموها فيها حتى كأنّ المادة القابلة للاختمار او للفساد تربة والاجسام الحية المتطايرة في الهواء بزور فتقع في التربة وتنمو فيها . وانّا ايضًا ان بعض الامراض ينتقل من مكان الى مكان ومن شخص الى آخر بواسطة بزور او جراثيم تطير في الهواء

وهذا الموضوع من الاهمّية بمكان عظيم لان العدو الظاهر للعيان لا يخيف كالعدو الخفي ولاسيما اذا كان العدوّ الخفيّ يترصدنا في كل مكان . ولذلك بُذلت الهمّة منذ عهد حديث في تفحّص الهواء ليُعلم مقدار ما فيه من الاجسام الحية . ومن الذين تفحصوهُ بالتدقيق العالم فرنكلند الكيماوي الانكليزي فظهر له بعد البحث ان مقدار هذه الاجسام الحيّة المتطايرة في الهواء يختلف باختلاف شهور السنة كما ترى في هذا الجدول

عدد الاجسام الحيّة في عشرة ليترات من الهواء

في شهر جنفيه (ت ٢)	٠٠٤
" " مارس (اذار)	٠٣٦
" " مايو (ايار)	٠٣١
" " يونيو (حزيران)	٠٥٤
" " يوليو (تموز)	٠٦٣
" " اوغسطس (آب)	١٠٥